لبنان من جمهورية إلى حظيرة بلا باب

27 أغسطس 2025

سياسة وتاريخ

3 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

لبنان من جمهورية إلى حظيرة بلا باب

المؤتمر الصحفي لتوماس براك لم يكن جلسة أسئلة وأجوبة، بل حظيرة فُتح بابها فجأة. الرجل الأميركي يصرخ: "كفى فوضى، أنتم حيوانات!" فيما الصحافيون يتدافعون على الميكروفونات كما تتدافع الدجاجات على حفنة حبوب. مشهد صغير اختصر دولة كاملة: جمهورية بلا قفص، وضوضاء بلا صاحب.

والحال أنّ لبنان أتقن فن الجمع بين العار والتبجح. دولة تضع ربطة عنق وتتحدث بلهجة السفراء، لكن ممارساتها لا تختلف عن عراك ركاب في باص مهترئ ساعة الذروة. بيد أنّ اللبناني يصر على تسمية هذا "توازن رعب". توازن يشبه كرسياً مكسوراً في مقهى قديم: كل من يجلس عليه يسقط، ثم يضحك كأنه في

مسرحية هزلية.

أما الأجمل فهو أن كل فريق يفسر زيارة براك على هواه: فريق يستقبله كأنه المنقذ، فريق يـراه اسـتعماراً، وفريـق ثـالث يتأمـل أصـوله اللبنانيـة كمـا لـو أن الجينـات سـتغيّر السـياسة. كلهـم يصـرخون ضـد التـدخل الأميركـي، ثـم يركضـون وراء الأميركـي طـالبين ضمانـات. ازدواجيـة تشبـه ممثلاً يلعـن المسـرح مـن فـوق الخشبة ثم يعود في اليوم التالي ليؤدي الدور ذاتـه. إنهـا قافلـة تسـير فـي صـحراء بلا وجهـة، يقودهـا سـائق أعمـى ويتبعهـا جمهـور يصـفق للغبار.

التاريخ هنا ليس درساً بل نكتة مكررة. الأردن أنهـى ازدواجيـة الفصائـل بأيلـول الأسـود بالنـار

والحديد، أما لبنان فيمدد الفوضى كما يمدّد سائق الباص المهترئ رحلته ليجمع مزيداً من الركاب. وبات اللبناني يعيش على المولدات الخاصة وسط تيار مركزي لا يتجاوز ثلاث ساعات يومياً، بينما أموال مودعيه المجمدة تتراوح بين 86 و93 مليار دولار. الأرقام هنا طعنات قاتلة. هناك بلا كهرباء، وهناك بلا أفق.

جسد الدولة يتأرجح بين غيبوبة وصحو، كأن الموت نفسه ملّ من الانتظار.

أما صرخة براك "كونوا متحضرين" فبدت كأنها نكتة سيئة في بلد صار "التحضر" فيه مرادفاً لشتم على الهواء. لبنان لا يحتاج لمبعوث أميركي، بل لعامل بلدية يلمّ الحظيرة ويعيد الطيور إلى أقفاصها. والسؤال الأخير يظل

معلقاً: بلد لا يضبط قاعة صحافة، كيف يضبط مصيره؟ في الحقيقة، لا يضبط شيئاً. لم يعد دولة تنهار، بل حظيرة مفتوحة؛ دجاجاتها تهرول في كل اتجاه، فيما الثعلب ينتظر عند الباب.